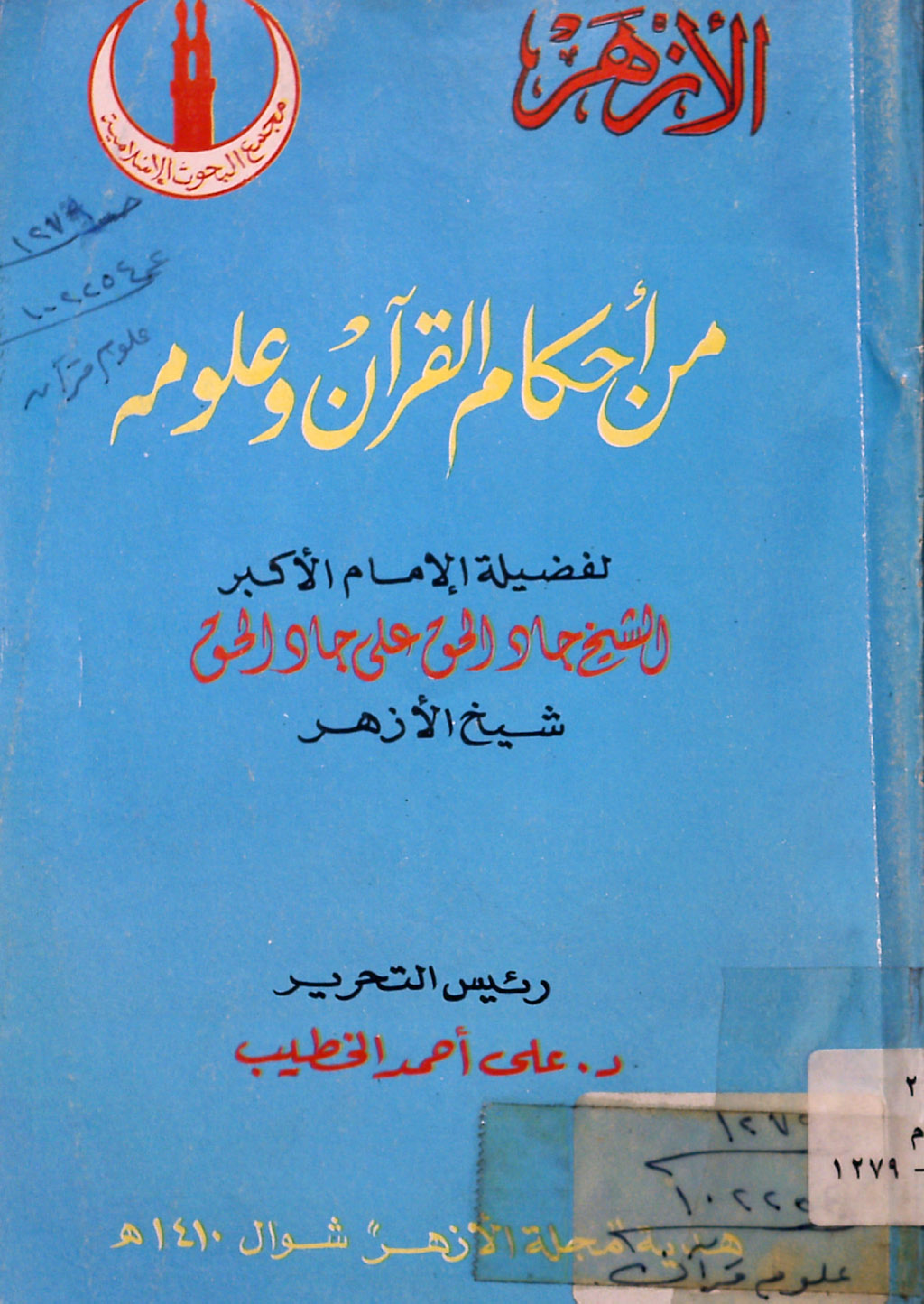

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
من أحكام القرآن وعلومه
لفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
هدية مجلة "الأزهر" شوال ١٤١٠ هـ

من أحكام القرآن وعلومه

لفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

هدية "مجلة الأزهر" شوال ١٤١٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

فى حديثنا عن الذكر الحكيم .. كتاب رب العالمين نستعين وصفَ رسولِ الله محمد صلوات الله وسلامه عليه للقرآن ، حيث يقول فيما رواه الترمذى :

(كتاب الله فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم مابينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولاتلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ . . . ﴾[1] .

من قال به صدق ، ومن عمل به أُجِر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هَدَى إلى صراط مستقيم) .

هذا القرآن :

هو كلام الله المعجز ، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بوساطة جبريل عليه السلام ، المكتوب فى المصاحف .. المنقول إلينا بالتواتر . المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة .. المختتم بسورة الناس .

---

(١) من الآيتين ١ ، ٢ سورة الجن .

فضل القرآن

وفى فضائل القرآن وعلومه قال الله سبحانه :ـ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وأنفقوا مما رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُور ﴾[٢]

وقال : توجيها وتعليما لأمة القرآن :

﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾[٣] .

وقال دعوة لتدبر القرآن وفهمه :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[٤] .

وفى أحاديث رسول الله ﷺ قوله :

(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[٥] وقوله :

(الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه أى (تصعب قراءته عليه) وهو عليه شاق ، له أجران) .[٦]

---

(٢) الآية ٢٩ سورة فاطر

(٣) الآية ٢٠٤ سورة الأعراف .

(٤) الآية ٢٤ سورة محمد .

(٥) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

(٦) رواه البخارى ومسلم واللفظ له وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وقوله : [٧]

(إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ماإستطعتم) .

فعلينا أن نتواصى بتلاوة القرآن وبالعمل به .

ذلك : ان من لم يقرأ القرآن فقد هجره ، ومن قرأ القرآن ولم يتدبر معانيه فقد هجره ، ومن قرأه وتدبر ولم يعمل بما فيه فقد هجره .

ذلك مايشير إليه قول الله : ﴿ وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا ﴾[٨] .

إنه لاعذر للمسلمين فى هجر القرآن ، وعليهم أن يتعلموه ويعلموه أولادهم .

---

(٧) رواه الحاكم من حديث لعبد الله بن مسعود .

(٨) الآية ٣٠ سورة الفرقان

آداب تلاوة القرآن

إنه لحق على كل مسلم ومسلمة تلاوة القرآن وترتيله، وحفظ بعض آياته بمقدار مايؤديه فى صلواته على الأقل.

قال الله سبحانه:

﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ﴾(٩).

وقال: ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾(١٠).

والترتيل: تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه، وأن يسكت بين النفَس والنفَس حتى يرجع إليه نَفَسُه.

فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله. فإن كان يقرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم.

وعلى المسلم حين يتلو القرآن أن يأخذ نفسه وأهله بما فيه من أحكام ذلك قوله تعالى:(١١).

﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾.

وقوله: ﴿ وأمر أهلك بالصلاة.. ﴾(١٢).

---

(٩) الآية ١٠٦ سورة الإسراء

(١٠) من الآية ٤ سورة المزمل

(١١) من الآية ٦ سورة التحريم

(١٢) من الآية ١٣٢ سورة طه

إذ بمقتضى هاتين الآيتين وغيرهما صار كل أحد مسئولا عن أمر أهله فى صلاتهم وصيامهم وأداء مايلزمهم فى طهاراتهم وجناباتهم وحيض النساء ونفاسهن .

نعم : على كل أحد أن يتفقد أهله بالسؤال فى أمور الحلال والحرام والعبادات .

فقد وضع لنا رسول الله ﷺ ذلك المبدأ . بل حمل الآباء والأمهات مسئولية تنشئة الصغار على الدين وتعليمهم أحكامه فى قوله :[١٣] .

(مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين) .

ولاشك أن تعليم الصلاة يقتضى تعليم الطهارة على نحو ماجاء به القرآن فى قوله تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾[١٤] .

---

(١٣) رواه احمد وابو داود
(١٤) الآية ٦ سورة المائدة

حيث بينت الآية الوضوء والاغتسال والتيمم .

كما يقتضي تعليم القرآن بالقدر الذى تصح به الصلاة على الأقل .

حكم تعليم القرآن

وتعليم القرآن بوجه عام فرض كفاية ، لكن حفظه واجب على الأمة ، بحيث لا ينقطع عدد التواتر فيه ، ولايتطرق إليه التبديل والتحريف .

فإن قام بذلك جماعة من الأمة سقط عن الباقين ، وإلا فالكل آثم .

فإذا لم يكن فى البلد أو القرية من يتلو القرآن أثموا بأسرهم .

ومثل هذا فى الحكم المفتى والمدرس ، لا إثم عليهما بالامتناع عن الفتوى والتعليم إذا كان هناك من يصلح لذلك .

أما إذا لم يوجد من يصلح ، لم يجز شرعا الامتناع عن الفتوى أو التعليم .

كالمصلى يريد تعلم سورة الفاتحة ، ولا يوجد غير معلم واحد ، وجب على هذا تعليمه السورة ، وإلا كان آثما .

ترتيب القرآن

وينبغى أن تكون تلاوة القرآن وتعليمه على الترتيب المعهود بالمصحف للآيات والسور ، فقد انعقد الإجماع على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على ذلك الوجه الثابت بالمصحف كان بتوقيف من رسول الله ﷺ عن الله تعالى ، وأنه لا مجال للرأى ولا للاجتهاد فيه ، حيث إنه كان ينزل جبريل عليه السلام بالآية والآيات على الرسول ﷺ ، ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها ، ثم يقرؤها النبى ﷺ على أصحابه مبلغا ، ويأمر كتاب الوحى بكتابتها مبينا لهم السورة التى تكون منها الآية وموضع الآية من هذه السورة .

وكان يتلوه عليهم مرارا فى الصلاة والعظات ، وفى الحكم والاحكام .

وقد كان الرسول ﷺ يعارض به جبريل كل عام مرة وفى العام الأخير من حياته عارضه مرتين . [صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن] .

كل ذلك كان على الترتيب المعروف لنا الآن فى المصاحف .

ونقل كذلك بالتواتر ، بعد أن جُمِع على هذا الترتيب فى عهد أبى بكر ثم فى عهد عثمان والاحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرةٌ مثْبتةٌ فى كتب السنة .

وكلهاتنطق بأن الرسولَ كان يقرأ فى صلواته سورا باكملها . أما ترتيب السور على الوجه الوارد بالمصاحف . فقد اختلفت كلمة العلماء فى شأنه إلى ثلاثة أقوال :-

(أ) أن هذا الترتيب ليس توقيفا من النبى ﷺ ، ولكن كان باجتهاد من الصحابة .

(ب) أن ذلك الترتيب كله توقيفى بتعليم رسول الله ﷺ .

(جـ) أن ترتيب بعض السور توقيفى ، وترتيب بعضها الآخر كان باجتهاد من الصحابة .

ولكل فريق من أصحاب هذه الآراء أدلة أوردها مستندا إليها . وسواء أكان ترتيب السور توقيفيا كله أو بعضه أو اجتهاديا كذلك . فإنه ينبغى احترامه والوقوف عنده .

لاسيما فى المصاحف ، لأنه إجماع الصحابة ، والإجماع حجة ولأن خلافه يجر إلى الفتنة .. ودرء الفتنة وسد ذرائع الفساد واجب . لكن ترتيب السور فى التلاوة ليس بواجب إنما هو مندوب .

فإذا خالف القارىء فى الصلاة أو خارجها فقرأ سورة ، ثم قرأ سورة قبلها جاز ذلك وإن كره جماعة من العلماء مخالفة ترتيب المصحف . لما رواه أبو داود عن الحسن من أنه كان يكره أن يقُرأ القرآن إلا على ترتيبه فى المصحف .

ولما رواه أبو داود أيضا بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قيل له : إن فلانا يقرأ القرآن منكوسا فقال : (ذلك منكوس القلب) .

وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها ، فممنوع منعا

باتا . لأنه يذهب بعض أوجه الاعجاز ويزيل ترتيب الآيات الثابت توقيفا .

أما تعليم الصبيان أو المبتدىء من آخر المصحف إلى أوله فحسن ، لما فيه من تسهيل الحفظ ، فضلا عن أنه تلاوة منفصلة فى مجالس وأيام متعددة .

عدد الآيات فى كل سورة

الآية طائفة من القرآن لها بدء ونهاية ، وتحديدها توقيفي مأخوذ عن رسول الله ﷺ ، واختلاف السلف فى عدد الآيات عموما ، وفى عدد آيات بعض السور خاصة ؛ مرجعه إلى اختلاف السامعين عن الرسول ﷺ فى ضبط الوقف والوصل فالمعروف أنه كان ﷺ يقف على رءوس الآى للتعليم والتوقيف ، فإذا عُلِم محلها وصل للتمام ، فوهم بعض السامعين عند الوصل أن ليس ثم فصل ، ومن هنا كان الخلاف فى عدد الآيات .

عدد الكلمات والحروف

كتب بعض الناس عدًا لكلمات القرآن ، بل ولحروفه . واختلفوا فى ذلك اختلافا بينا . وقد قيل إن سبب الاختلاف فى العد أن الكلمة فى القرآن لها حقيقة ومجاز ، ولفظ ورسم ، واعتبار كل منهما جائز ، وقد اعتبر كل واحد من العلماء فى عده أحد ماهو جائز.

قال السخاوى :

(لا أعلم لعدِّ الكلمات والحروف من فائدة ، لأن ذلك إن افاد فإنما يفيد فى كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان .. والقرآن لا يمكن فيه ذلك) .

والمحاولات التى يجريها بعض الناس الآن لعد حروف القرآن أو كلماته بالآلات الحاسبة لاطائل تحتها ، ولا تعتبر خدمة لكتاب الله أو ملحقة بعلوم القرآن .. فقد جرت عبارات العرب قديما على إطلاق اسم الكلمة على جملة من الكلمات :

(وكلمة بها كلام قد يؤم) .

والأولى صرف الهمة والجهد إلى ما وراءه المنفعة للمسلمين والحفاظ على الكتاب المبين .

أخذ الأجر على تعليم القرآن

وبهذه المناسبة : يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن وتحفيظه . ففى صحيح البخارى : (إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله) .

ووردت السنة الصحيحة أن الرسول ﷺ جعل تعليم القرآن مهرا فزوج أحد أصحابه امرأة بما معه من القرآن . [انظر صحيح البخاري - كتاب النكاح] .

والأفضل للمعلم أن يشرط الأجرة للحفظ وتعليم الكتابة .

وعلى كل مسلم ومسلمة أن يداوم على تلاوة القرآن ، بعد أن يتعلم هذه التلاوة وآدابها وأحكامها . فإن الله قد أثنى على من كان دابه تلاوة آياته . فقال : ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل ﴾[١٥] وسماه ذكرا وتوعد المعرض عنه ، فقال : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ﴾[١٦] .

ونبه رسول الله ﷺ إلى ضرورة تعهد القرآن بالتلاوة فقال : [١٧] (تعاهدوا القرآن ، فو الذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها)وقال : [١٨] .

---

(١٥) من الآية ١١٣ سورة آل عمران

(١٦) من الآية ١٢٤ سورة طه

(١٧) رواه مسلم من حديث أبى موسى الأشعرى .

(١٨) رواه البخارى من حديث عبد الله بن مسعود - هكذا - ورواه مسلم موقوفاً .

(بئسما لأحدهم يقول : نسيت آية كيت وكيت ، بل هو نُسِّيَ) .

وهذا أدب مع القرآن يوجهنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينبغي أن نحرص عليه ، وأن نتعاهد على حفظه وتحفيظه كباراً وصغاراً نساء ورجالاً .

استحباب التطهر للقراءة

وقد استحب العلماء الطهارة للقراءة ، كطهارة الصلاة ، والتزين بالملابس ، كما يَتَجمل للقاء الناس ، إذ بتلاوة القرآن يناجى المسلم ربه ويكون بين يديه ، فكأنه فى الصلاة كما يستحب استقبال القبلة جالساً حال التلاوة ..

هذا . ويحرم على الجنب والحائض والنفساء تلاوة القرآن . ويستحب كذلك التعوذ قبل القراءة ، ولابد من قراءة البسملة أول كل سورة تحرزاً مما قال به الإمام الشافعى من ان البسملة آية من كل سورة .

ولتكن تلاوة القرآن أخذا من أهل الإتقان ، فقد كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يجتمع به جبريل عليه السلام فى رمضان فيدارسه القرآن .

[البخاري - بدء الخلق ص ١٨٥] .

أفضلية التلاوة من المصحف

نقل أن الأكثرين من الصحابة كانوا يقرءون فى المصحف ، ويكرهون أن يمضى يوم دون أن ينظروا فى المصحف ، وفى كتب السنن آثار كثيرة تدل على فضل التلاوة من المصحف ، على التلاوة ظاهراً باعتبار أن النظر فى ذات المصحف عبادة .

كما روى أبو داود بسنده عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : (النظر إلى الكعبة عبادة والنظر فى وجه الوالدين عبادة والنظر فى المصحف عبادة) ..

هذا : ولعل أولئك الذين يضعون المصاحف فى المنازل والسيارات معلقة للتبرك يستمعون معنا إلى هذه الأحكام فيفتحون هذه المصاحف يومياً للتلاوة والنظر فيها أى قدر من الآيات حتى لا يكونوا ممن اتخذوا هذا القرآن مهجوراً .

هذا : وقد اختلف العلماء فى مس المصحف على غير وضوء .

فجمهور الفقهاء على تحريم ذلك أخذا من ظاهر قوله تعالى : ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾(١٩) .

وذلك فيما عدا الصبيان ومعلمهم أيضاً ، فإنه يجوز لهم مس المصحف على غير وضوء وضرورة .

---

(١٩) الآية ٧٩ سورة الواقعة .

من آداب التلاوة

أن يفصل القارىء للقرآن كل سورة عما قبلها .. ويحسن أن يكون ذلك ببسم الله الرحمن الرحيم ، وأن لا يقرأ من أخرى إلا بعد الفراغ من الأولى .

روى البيهقى بسنده قال :

(كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُقَطِّع قراءاته آية .. آية) .

ثم عقب بقوله :

ومتابعة السنة أولى فيما ذهب إليه أهل العلم بالقراءات من تتبع الأغراض والمقاصد . وعلى قارىء القرآن أن يجتنب تلاوته فى الأماكن القذرة وفى الأسواق حيث يكثر اللغو والإعراض عن التدبر والفهم .

ويستحب ختم القرآن فى كل أسبوع .

فقد روى أبو داود بسنده قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(اقرأ القرآن فى كل سبع ولا تزد) .

والصحيح أن ذلك يختلف من شخص لآخر حسب النشاط والضعف والحرص على التلاوة والانشغال ، لكن الأولى للمسلم أن يداوم على التلاوة وأن يجعل القرآن وِرْدَهُ الدائم لأنه مناجاة الله سبحانه بكلامه .

هــذا :

وقد روى البيهقى فى دلائل النبوة وغيره أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يدعو عند ختم القرآن :

اللهم ارحمنى بالقرآن .. واجعله لى أماناً ونوراً .. وهدى ورحمة ..

اللهم ذكرنى منه ما نسيت ، وعلمنى منه ما جَهِلْت ، وارزقنى تلاوته آناء الليل ، واجعله لى حجة يارب العالَمين .

آداب الاستماع للقرآن

يسن الاستماع لقراءة القرآن وترك التحدث واللغط امتثالاً لقول الله سبحانه : ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾[٢٠] .

بل وحتى لا يدخل من يعرض عن سماع القرآن فى نطاق قوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾[٢١] .

---

(٢٠) الآية ٢٠٤ سورة الأعراف .
(٢١) الآية ٢٦ سورة فصلت

المصاحف التى بليت أوراقها

لقد دأب المسلمون على تعظيم كتاب الله والمحافظة عليه ، فإذا بليت أوراق المصحف أو بعضها فالأولى إحراقها حسبما أحرق عثمان ـ رضى الله عنه ـ بعض المصاحف التى كانت تحوى آيات وقراءات منسوخة أو مضافاً إليها تفسيرات سمعها كاتبوها ، وكان ذلك بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه أحد .

اقتباس بعض القرآن في الحديث والكتابة

ورد فى كتب السنة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اقتبس فى مراسلاته من القرآن فكتب إلى هرقل : **(سلام على من اتبع الهدى)** ، **(ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء)** .

ومن دعائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٢٢] **(اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)** .

وقوله : **(اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً اقض عنى الدين واغننى من الفقر)** .

وفى سياق كلام لأبى بكر ـ رضى الله عنه ـ حينما عهد إلى عمر بالخلافة قال :[٢٣] **(وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)** .

لكن الاقتباس من القرآن ينبغى أن يكون فى موضع الإجلال ، فيحرم الاقتباس فى الأغانى وأمثالها أو فى مجالس اللهو ، ومن فعل ذلك كان مستهزئاً بالقرآن وتلك كبيرة من الكبائر ينبغى منعها .

---

(٢٢) رواه البخارى ومسلم عن أنس ـ رضى الله عنه ـ

(٢٣) من الآية ٢٢٧ سورة الشعراء .

علوم القرآن

يراد بها كلُّ علم يخدم القرآن أو يستند إليه وينتظم ذلك علم التفسير وعلم القراءات والرسم العثمانى ، وأسباب النزول ، وإعجاز القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وإعراب القرآن وغريب القرآن ، وعلوم الدين واللغة ، وغير هذا مما سطره العلماء .

لكن ما يجب العلم به ، هو أن القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز ، فكل علم يتصل بالقرآن من ناحية قرآنيته أو يتصل به من ناحية هدايته أو إعجازه ، فذلك من علوم القرآن وهذا ظاهر فى العلوم الدينية والعربية . أما العلوم الكونية ، وأما المعارف والصنائع وماجد أو يجد فى العالمَ من فنون ومعارف كعلوم الهندسة والفلك وعلم الاقتصاد والاجتماع وعلوم الطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات وغيرها ، فكلُّ أولئك ـ وإن دعا القرآن إلى تعلمها والإجادة فيها لا يجمل أن تُعَدَّ من علوم القرآن ، لأن هناك فرقاً بين علوم اختصها القرآن بالتأصيل أو التفصيل ، وعلوم حث عليها فى عموماته ، فما عرض له القرآن مبيناً أحكامه وضوابطه وكان مرتبطاً بنصوص القرآن فهو من علومه التى تخدم مقاصده .

من علـــوم القـــرآن
« الرســم العثمانى »

اتفقت كلمة فقهاء المذاهب المشهورة على ضرورة الالتزام فى كتابة المصحف بالرسم العثمانى ، باعتبار أن هذا الرسم ، هو ما كتب به القرآن فى حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقرهم عليه ، ثم جاء أبو بكر فكتب القرآن بهذا الرسم وتبعه عثمان فى كتابة المصاحف بموافقة الصحابة ، ودون نكير من أحد فيكون إجماعاً ، ومن ثم يلزم المصير إلى طباعة المصحف بهذا الرسم لا غير .

ولقد أجاز بعض العلماء كتابة المصحف بالاصطلاحات الإملائية المعاصرة للتعليم ولا بأس من المصير إلى هذا الرأى فى طبع الأجزاء المفرقة من القرآن لتكون فى أيدى الصغار لتعلمهم القرآن ، حتى إذا ما تَمَرَّسُوا على التلاوة والحفظ ، عادوا إلى الرسم العثمانى الذى أجمع المسلمون منذ الخليفة الثالث على استمرار كتابة المصحف به دون سواه .

تفسير القرآن

التفسير هو المعانى الظاهرة من القرآن الكريم التى تكون واضحة الدلالة على المعنى المراد من النص القرآنى .

أما التأويل : فهو المعانى الخفية التى تستنبط من الآيات الكريمة ، والتى تحتاج إلى تأمل وتفكر واستنباط والتى تحتمل عدة معان ، فيرجح المفسر منها ما كان دليله أقوى ولا يعتبر هذا الترجيح قطعياً ، بل هو ترجيح للأقوى والأظهر . لأن الله يقول : ﴿ .. وما يعلم تأويله إلا الله ﴾[٢٤] .

وقد دعا القرآن إلى تدبر آياته وفهمها والعمل بها .

يقول الله سبحانه : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾[٢٥] .

ويقول سبحانه : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[٢٦] .

ويقول : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾[٢٧] .

---

(٢٤) من الآية ٧ سورة آل عمران .

(٢٥) الآية ٢٩ سورة ص

(٢٦) الآية ٢٤ سورة محمد

(٢٧) الآيات ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ سورة القمر .

فالمسلمون ، بل والناس جميعاً فى حاجة إلى تدبر القرآن وفهمه وتفسيره وهذا ما حدا بالمسلمين الأولين إلى الإجادة فى هذا والإفادة ، فتركوا عدة تفاسير للقرآن الكريم .

أقسام التفسير

أ ـ التفسير بالرواية ويسمى أيضاً التفسير بالمأثور .

ب ـ التفسير بالدراية ، أو تفسير الرأى .

جـ ـ التفسير الإشارى .

أما التفسير بالرواية أو بالمأثور ، فهو تفسير القرآن بالقرآن ، أو بما جاء فى السنة أو كلام الصحابة بياناً للمراد من النص القرآنى ..

وأشهر من اتبع هذه الطريقة : ابن جرير الطبرى ، والسمرقندى وغيرهما . لكنه قد دخل فى هذا النوع من التفسير الكثير من الإسرائيليات والقصص والأخبار التى لم تمحص رواياتها .

هذا : وقد نسبت تفاسير لعدد من الصحابة ومن التابعين فى مختلف الأقطار والأمصار وهذه التفاسير المنقولة عن هؤلاء وأولئك فى حاجة إلى التنقية ، وإن كانت لا تخلو من الروايات الصحيحة الثابتة التى يتعين المصير إليها فى التفسير .

التفسير بالرأى

والمراد به الاجتهاد المستند إلى ما يجب الرجوع إليه من قواعد وأصول ، كأدوات هادية إلى الحق وحسن الفهم للقرآن .

تلك الأصول هى :

أ - النقل عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع الابتعاد عن الموضوعات والضعيف من الأخبار .

ب - الأخذ بقول الصحابى باعتباره فى حكم المرفوع ، وإن لم يكن مرفوعاً فى واقع الأمر من هذا ما رواه أبو داود والترمذى وغيرهما عن قيس قال :

خطبنا ابو بكر رضى الله عنه فقال : إنكم تقرءون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها :

﴿ ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾[٢٨] .

وإنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بقضائه) .

وتأويلات ونُقُولُ أخرى فى شأن هذه الآية :

---

(٢٨) الآية ١٠٥ سورة المائدة .

هذا . وبعض العلماء خص ذلك بأسباب النزول باعتبارها ليست مجالاً للرأى .

جـ - الأخذ بمطلق اللغة ، مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه كلام العرب .

د - الأخذ بما يقتضيه الكلام وتدل عليه قواعد الشرع .

ومما يجب ملاحظته ، أنه لا يجوز لمن لم تتوافر لديه قوانين اللغة والشريعة أن يفسر القرآن برأيه ، ذلك أن فى القرآن علوماً مختلفة ، منها ما استأثر الله بعلمه ، فليس لأحد البحث فيه ، كمعرفة حقيقة ذاته وصفاته . ومنها ما أطلع الله عليه نبيه واختصه به ، وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا للرسول - صلى الله عليه وسلم -

وقد قيل إن من هذا أوائل السور ، ومنها العلوم التى أمر بإبلاغها للناس وهذا منه ما لا يكون علمه إلا بالنقل عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كالكلام فى الناسخ والمنسوخ والقراءات ، وقصص الأمم السالفة ، وأسباب النزول وأخبار الحشر والنشر والميعاد .

ومنها ما يعرف بالنظر والاستنباط ، وذلك ما يتعلق بآيات الأحكام والمواعظ والأمثال والحكم ونحوها ، لمن توافرت له أهلية الاجتهاد .

ومن هذا ما ينبغى التوقف عن النظر فيه ، وهو المتشابه . والمفسر يحتاج إلى تحصيل علوم اللغة والنحو والصرف

وعلوم البلاغة وعلم أصول الفقه وعلم التوحيد ، ومعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ .

والأحاديث المبينة للمجمل والمبهم ، ثم موهبة الفهم . وهى منحة من الله سبحانه وصدق الله : ﴿ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾[٢٩] .

تلك العلوم مطلوبة لتحقيق أقصى قدر من مراتب علم التفسير .

أما المعانى العامة الظاهرة ففهمها يشترك فيه كل الناس .

هذا وقد منع بعض العلماء تفسير القرآن بالرأى خشية القول على الله بغير علم .

وهذا غير صحيح ، لأن القرآن دعا إلى تدبير آياته وفهمها واستنباط الأحكام منها .

وما دام المسلم مؤهلا لتحصيل تلك العلوم ، عارفا بسنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم .

وأقوال السلف الصالح ، ثقة ، لا يقول على الله بغير علم ، كان له التفسير . هذا وأكثر كتب التفسير المتداولة ، هى من باب التفسير بالرأى والاجتهاد بضوابطه .

(٢٩) من الآية ١٤٦ سورة الأعراف .

التفسير الإشارى

وهو الذى يهدف إلى تأويل القرآن على خلاف ظاهره ، لإشارات خفية تظهر لبعض أولى العلم ، أو يقول بها بعض الصوفية وغيرهم من الفرق التى ظهرت فى سالف عصور المسلمين .

ولا شك أن على الناس جميعا أن يحذروا هذا النوع من التفاسير الإشارية الملتوية لأنها خارجة عن حدود الضبط والعلم ، وكثيرا ما يلتبس فيها الحق بالباطل والخيال بالحقيقة ..

وعلينا جميعا أن نلتزم الكتاب والسنة مستهدين بأقوال السلف الصالح وأن نعرض عمن يقولون فى كتاب الله بغير علم ، يخفون فى أنفسهم مالا يبدون من كيد للإسلام والمسلمين ، فينفثون سمومهم ، محرفين الكلم عن مواضعه بإشارات وادعاءات لاسند لها إلا أفهامهم .

ولقد ظهر فى عصرنا هذا أولئك الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا باسم العلم تارة وباسم الدين أخرى ، غير ملتزمين بقواعد علمية ولا بنصوص مأثورة ، يطعنون فى كل شىء ويلمزون المؤمنين ، والله من ورائهم محيط .

نسأله العصمة فى الدين والعون على المارقين ..

ومن هنا كان على المسلمين أن يتحروا من أمرهم رشدا ، فلا يأخذوا علوم الدين وأحكام الشرع إلا من مصادرها ومن المتخصصين فى دراستها ، الأمناء على حملها فما كل قائل

خطيب ، وما كل ناظم شاعر ، وليتق الله أولئك الذين يفجرون الخلافات التى عفى عليها الزمن وتجاوزتها الأمة الإسلامية وليتق الله أولئك الذين عادوا إلى التشكيك فى المصادر الإسلامية الصحيحة عملا بمبدأ « خالف تعرف » ، إذ هل يقبل فى عصر الفضاء أن نشك فى الإسراء والمعراج ؟ إن هذا غير مقبول وربما كان فى عصر الرسالة وبمنطق وسائل الانتقال ـ الإبل ـ فى ذلك الوقت ، يستبعد المجادل أن يقطع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلك المسافات الطوال بين مكة والقدس ، ثم عروجا إلى السموات ويعود فى نفس الليلة .

الا ، فليكف أولئك الذين يروجون الشكوك ، ويفتنون الناس عن دينهم . فإن الكلمة فى الدين أمانة ، إن الإسراء ثابت فى القرآن ..

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ﴾ .[٣٠]

نصيحة أوجهها إلى الأمة الإسلامية فى كل مكان على أرض الله ، أن نحذر الفرقة والاختلاف ، فقد يئس الأعداء من المواجهة ، فلجأوا إلى غزو المسلمين من داخلهم ، فبثوا خلافات واحيوا مواتا من الأفكار التى طواها الزمن فى بطون الكتب ، إنهم يفجرون خلافات حول السنة الشريفة وكتبها ويذيعون تفسيرات خاطئة على السنة أناس قد يكون لهم فى المجتمع مكان دون أن يكون لهم فى علوم الإسلام مكانة .

ونصيحة أوجهها لوسائل الإعلام : أن من مهامها

---

(٣٠) من الآية ١ سورة الإسراء ..

الرئيسية نشر الثقافة الصحيحة يقرؤها الجميع فى الصحف ، أو يسمعونها فى الإذاعة المسموعة والمرئية ، ومن واجبها أن تقدم للناس المعلومات الصحيحة الموثوق بها وأن تقف بشجاعة ضد أولئك الذين يحملون معاول الهدم والفرقة أولئك الذين يقولون فى الإسلام بغير علم ، فهم خطر على مجتمعنا وعلى عقيدة أولادنا ، إن الكلمة أمانة ، ونقلها إلى الناس أمانة ، وأن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ..

إن حرية الكلمة لا تعنى هدم القيم الإسلامية أو التشكيك فى أصولها أو تفسيرها على وجه يلتبس فيه الحق بالباطل ..

فالحرية بوجه عام مصونة مالم تضر بالغير ، وإلا صارت عدوانا يجب رده .

ذلك قول الله سبحانه : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ﴾[٣١] .

نسأل الله سبحانه أن يوفق القائمين على أمور وسائل الإعلام إلى أن يجتثوا الكلمة الخبيثة من صحائفهم وقنواتهم حتى يقدموا لنا صحيح الفهم وصادق القول وقدوة العمل وأن يجعلنا جميعا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، فنقدم للناس رشدا وقولا حسنا ينفعهم فى معاشهم ، وترتقى عليه أخلاقهم ، وينضبط به سلوكهم .

---

(٣١) الآيات ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ سورة ابراهيم .

من علوم القرآن :
أسباب النزول

سبب النزول : هو مانزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه . والمعنى أنه حادثة وقعت فى زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ، أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب السؤال كحادثة الخلاف الذى نشب بين الأوس والخزرج بدسيسة من اليهود حتى تنادوا بالسلاح فنزل قول الله :

﴿ ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾(٣٢) .

وآيات أخرى بعدها فى سورة آل عمران تنفر من الشقاق والانقسام وترغب فى الوحدة والوفاق والمحبة ، أو كذلك الذى أمَّ الناس فى الصلاة وهو سكران ، فقرأ بعد الفاتحة سورة : (قل ياأيها الكافرون اعبد ماتعبدون) وحذف أداة النفى من قوله (لا أعبد) .

فنزلت الآية ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾(٣٣) .. أو كان سبب النزول أمنيات بدرت من بعض الصحابة ، كتلك التى أطلقوا عليها موافقات عمر رضى الله عنه .

---

(٣٢) الآية ١٠٠ سورة آل عمران .
(٣٣) من الآية ٤٣ سورة النساء .

ومن أمثلتها ما أخرجه البخارى وغيره عن أنس رضى الله عنه قال : قال عمر : (وافقت ربى فى ثلاث) . قلت يارسول الله .

لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ (٣٤) .

وقلت يارسول الله : إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب: ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما ﴾(٣٥) .

واجتمع على رسول الله نساؤه فى الغيرة ، فقلت لهن :

﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن . . ﴾ فنزلت الآية(٣٦) .

---

(٣٤) من الآية ١٢٥ سورة البقرة .

(٣٥)الآية ٥٣ سورة الأحزاب .

(٣٦) من الآية ٥ سورة التحريم .

وقد كان السؤال يوجه إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى أمر ماض ، فيأتى القرآن بالجواب عنه .

كقول الله سبحانه : ﴿ ويسألونك عن ذى القرنين . ﴾[٣٧] .

أو يتصل بأمر حاضر ، كقول الله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[٣٨] .

أو يتصل بأمر مستقبل نحو قول الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾[٣٩] .

هذا : وهناك آية أو آيات نزلت ابتداء دون تقدم سبب ظاهر تتحدث عن بعض الوقائع والأحوال الماضية أو المستقبلة .

كبعض قصص الأنبياء السابقين وأممهم ، وكالحديث عن الساعة وما يتصل بها .

---

(٣٧) من الآية ٨٣ سورة الكهف .
(٣٨) الآية ٨٥ من سورة الإسراء .
(٣٩) الآية ٤٢ سورة النازعات .

فوائد معرفة سبب النزول

لعل بعض الناس تغيب عنهم فوائد معرفة أسباب نزول الآية أو الآيات من القرآن ، أو يتغافلون عن تلك الأسباب عند النظر فى التفسير باعتبار أنها لا تعدو أن تكون تاريخا للنزول أو جارية مجرى التاريخ .

لكن تلك الأسباب ليست مجرد تاريخ وإنما لها فوائد عديدة هامة : ـ

أ ـ معرفة حكم الله تعالى على التحديد فيما شرعه بالتنزيل ، يزداد بها المؤمن إيمانا أما غير المسلم فقد تسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان بالإسلام حينما يقف على أن التشريع الإسلامى قام على رعاية مصالح الناس ، لا على الاستبداد ، لاسيما فى تلك الأحكام التى تدرج فيها التشريع الإسلامى كمسألة تحريم الخمر التى مرت بأربع مراحل فى القرآن .

ب ـ الاستعانة بسبب النزول على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يؤدى إلى العلم بالمسبب . فمثلا : قول الله سبحانه[٤٠] ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾ .

---

(٤٠) الآية ١١٥ سورة البقرة .

تدل هذه الآية بظاهرها على أن للمسلم أن يصلى إلى أى جهة شاء، ولا يتعين عليه أن يتوجه فى الصلاة إلى البيت الحرام، لا فى سفر ولا فى حضر، لكن إذا علم أن هذه الآية نزلت فى نافلة السفر خاصة، أو فيمن صلى باجتهاده ثم بان له خطؤه تبين أن ظاهرها غير مراد، إنما المراد التخفيف على المسافر فى خصوص صلاة النافلة.

أو على المجتهد فى القبلة إذا صلى وبان خطؤه.

جـ - دفع توهم الحصر نحو قوله سبحانه :[41] ﴿ قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أُهِلَّ لغير الله به . . ﴾.

فقد قال الإمام الشافعى إن هذا الحصر غير مقصود، لأن الآية نزلت بسبب أن أولئك الكفار الذين أبوا إلا أن يحرموا ما أحل الله ويحلوا ما حرم الله عنادا منهم.

فنزلت هذه الآية بهذا الحصر محادة لهم من الله ورسوله، لا قصدا إلى حقيقة حصر المحرمات فيما ورد فى هذه الآية.

هذا، وقد قال الإمام مالك بحصر المحرمات فيما ورد فيها متجاوزا هذا السبب.

د - تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى من الأئمة أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، وهم قلة.

---

(٤١) من الآية ١٤٥ سورة الانعام.

لكن ما يراه أكثر العلماء من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هو الصحيح .

هـ - تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحى فى ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها ، لأن ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث ، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة ، كل هذا من دواعى ثبوتها فى الذهن وسهولة استذكارها ، وذلك ماسماه علماء النفس الآن بقانون تداعى المعانى وتتابعها .

من أين نقف على سبب النزول :-

لا يحل القول فى أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن حضروا تنزيل القرآن وعلموا الأسباب ، أو بحثوا عن علمها ، وقد روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال :- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤٢] .

(من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) .

وعلى ذلك :

فإن روى سبب النزول عن صحابى فهو مقبول ، وإن لم يتأكد برواية أخرى . ذلك ، لأن قول الصحابى فيما لا مجال للاجتهاد فيه ، حكمه حكم المرفوع إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - لأنه يستبعد جدا أنْ يكون الصحابى قد قال ذلك

---

(٤٢) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

السبب من تلقاء نفسه ، على حين انه خبر لا بد له من السماع والنقل أو الرؤية والمشاهدة .

اما إذا نقل سبب النزول بحديث مرسل أى سقط من سنده الصحابى وانتهى إلى أحد التابعين ، فحكمه أنه لا يقبل إلا إذا صح وسانده خبر مرسل آخر وكان راويه من ائمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وسعيد بن جبير .

نـزول القــرآن على سـبعة أحـرف

وهذا علم آخر من علوم القرآن ـ القراءات .

ذلك العلم الذى جاء فى شأن الحديث الشريف الصحيح[٤٣] (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه) .

وقد روى هذا الحديث بروايات مختلفة حتى قال بعض الأئمة إنه بلغ حد التواتر .

---

(٤٣) رواه البخارى .

القرآن معجزة نبى الإسلام

جرت حكمة الله أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات ، وبالبراهين الدامغة التى تدل على صدقهم ، وفى هذا روى عن رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : (مامن نبى من الأنبياء إلا أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا) . رواه البخارى ..

١ ـ ذلك أن معجزة القرآن ـ فى ذاته وبما حوى من المعجزات الكثيرة : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾(١١٧) قد كتب الله لها الخلود ، فلم تذهب أو تذبل بمضى الأيام ، ولم تمت بموت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل ما تزال قائمة تحاج كل مكذب وتتحدى كل منكر وتدعو الناس جميعا إلى مافى القرآن من هداية الإسلام وسعادة الإنسانية .

ومن هذا يظهر الفرق واضحا بين معجزات نبى الإسلام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعجزات إخوانه الأنبياء عليهم أزكى الصلاة وأتم التسليم .

إذ أن معجزة القرآن تحوى آلاف المعجزات الباقية إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها تهدى الناس .

---

(١١٧) من الآية ٥٣ فصلت .

﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾[(١١٨)] .

تلك معجزة نبى الإسلام ، أما معجزات سائر الرسل فمحدودة العدد قصيرة الأمد ماتت بموتهم ، وانتهت بذهاب أزمنتهم .

كانت معجزاتهم حسية ، كعصا موسى التى انقلبت حية تسعى ، وناقة صالح التى خرجت من الصخر ولها رغاء ، أو شفاء مريض ، أو إبراء أعمى كما كانت معجزة عيسى عليه السلام .

أما القرآن فهو المعجزة الكبرى للرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو خالد إلى ماشاء الله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[(١١٩)] .

ولقد تحدت هذه المعجزة كل الخلائق فما واجهها مخلوق أيا كان وضعه أو وصفه قال تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[(١٢٠)] .

ثم تحدى القرآن العرب أصحاب هذه اللغة التى نزل بها وفرسان البلاغة والبيان تحداهم بأن يأتوا بمثله .

---

(١١٨) الآيتان ٩ ، ١٠ الإسراء .

(١١٩) الآية ٩ الحجر .

(١٢٠) الآية ٨٨ .

﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾[١٢١] .
﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾[١٢٢] . ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور فقال فى سورة هود : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ﴾[١٢٣] .

ثم تحداهم بسورة من مثله تصدق بأقصر سورة فى القرآن فقال فى سورة البقرة : ﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾[١٢٤] .

هذا التحدى لأهل البلاغة والفصاحة أهل هذه اللغة التى هى لسانهم ، فما استطاعوا ذلك بالرغم من انفساح الوقت ، إذ لم يضرب لهم أجلا للمعارضة ولم يحدد زمنا للمناقضة .
والحديث عن القرآن المعجزة الخالدة قد فصله العلماء ، كل فى الجانب الذى يحسنه فما استوفوا ما فيه ، وما بلغوا غايته .

---

(١٢١) الآية ٣٤ الطور .
(١٢٢) الآية ٤٩ القصص .
(١٢٣) الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(١٢٤) الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

نقل أن الأصمعى خرج ذات يوم فسمع جارية تنشد أبياتا من الشعر أعجبته فقال لها : قاتلك الله ، ما أفصحك . فقالت له : أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾[١٢٥] . ثم قالت له : لقد جمعت هذه الآية ـ على وجازتها ـ بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين .

أما الأمران فهما : أرضعيه وألقيه فى اليم ، وأما النهيان فهما : لا تخافى ولا تحزنى وأما الخبران فهما : أوحينا وخفت ، وأما البشارتان فهما : إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين . سبحان الله الذى فهم هذه الجارية البدوية صغيرة السن ، هذا العلم . وروى أن ابن المقفع الكاتب البليغ المشهور حاول معارضة القرآن ذات مرة فسمع صبيا يقرأ قول الله تعالى : ﴿ وقيل ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾[١٢٦] .

فمزق صحفه التى كان قد بدأ بها معارضة القرآن وكسر أقلامه ، وقال : ـ والله هذا مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله .

هذا هو القرآن ، كتاب الله إلى الناس جميعا المعجزة الخالدة ، على المسلمين أن يعملوا به ، وأن يحفظوه ويعلموه

---

(١٢٥) الآية ٧ القصص .

(١٢٦) الآية ٤٤ هود .

أولادهم ، فبه وفيه الحياة السعيدة المطمئنة ، وفيه الشريعة العادلة المستمرة وفيه العقيدة الصافية وفيه وبه السكينة والطمأنينة ، وليس بعد قول الله تعالى :

﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾[١٢٧] . .

---

(١٢٧) الآية ٩ الإسراء .

الرسول فى القرآن

قرر القرآن أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشر مثل من سبقه من الرسل ، ذلك قوله تعالى فى سورة الكهف : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إِلَىَّ أنما إلهكم إله واحد ﴾[١٢٨] وقوله تعالى فى سورة الأحقاف : ﴿ قل ماكنت بدعا من الرسل ﴾ .[١٢٩]

ولما جادله قومه وسألوه أن يأتيهم بما يعجز عنه الناس أوحى الله إليه قرآنا يجيب به ، مقررا أنه لم يخرج عن كونه بشرا ، نرى هذا الحوار فى قوله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا .أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾[١٣٠] .

نعم .. محمد بشر رسول ، أكد القرآن ذلك وسجله فى غير موضع من آياته ذلك قول الله فى سورة البقرة : ﴿ كما أرسلنا

---

(١٢٨) من الآية ١١٠ .

(١٢٩) من الآية ٩ .

(١٣٠) من الآيات ٩٠ ـ ٩٣ .

فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾[131] .

وفى سورة التوبة : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾[132] .

ولأنه بشر، فله خصائص البشر، يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق، ويتزوج النساء ويولد له، كما كان لمن سبقه من الرسل أزواج وذرية، وهو رسول الله يبلغ آياته وأحكامه ويجتهد فيما يقع من حوادث، فيقره الله على اجتهاده أو يعاتبه الله عليه، كما فى قصة أسرى بدر وإطلاق سراحهم بالفدية. وكما فى قضية تزوجه - صلى الله عليه وسلم - بمطلقة ابنه بالتبنى، تشريعا وتعليما للأمة بتحريم التبنى وبإبطال ما كان عرفا عند العرب، فيما وقع من رسول الله مع واحدة من أزواجه وتحريمه على نفسه بعض ما أحل الله إرضاء لها، بل وعتاب الله رسوله فى شأن عبد الله بن أم مكتوم : ﴿ عبس وتولى .أن جاءه الأعمى . ومايدريك لعله يزكى .أو يذكر فتنفعه الذكرى .أما من استغنى .فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى.وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى .فأنت عنه تلهى. كلا إنها تذكرة .فمن شاء ذكره ﴾[133] .

---

(١٣١) الآية ١٥١ .

(١٣٢) الآية ١٢٨ .

(١٣٣) الآية ١ - ١٢ عبس .

نعم .. إنها تذكرة وفقه لأمة القرآن ألا يعرضوا عن ضعفائهم وفقرائهم الذين امتلأت قلوبهم إيمانا ويقينا بهذا القرآن ، أملا فى استجابة من أعرض ونأى بجانبه . إنها تذكرة لهؤلاء الذين اصطنعوا المراء والجدل وتشكيك المؤمنين .

نعم : إنها دعوة وجهها الله سبحانه لرسوله ومن ورائه الدعاة إلى الإسلام ألا تعرضوا عن تعليم طالب العلم المخلص فى طلبه ، تصحيحا لعقيدته وتثبيتا لإيمانه ، وتعليما لأحكامه ، التفاتا وأملا فى أولئك الذين انغلقت قلوبهم عن ذكر الله ، والفقه فى دينه .

وإذا كان القرآن قد قرر بشرية رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى أوحى إليه هذا القرآن ، وأنه يجرى عليه مايجرى على سائر البشر فى لوازم الحياة البشرية ومتطلباتها فإن القرآن أعلمنا أن هذا الرسول ليس بشرا عاديا على المستوى الذى عرف بين الناس وإنما كان إنسانا اختصه الله بما هيأه لتلقى الوحى وملاقاة الملَك ، وأضفى عليه ما أعده لتحمل الأمانة وأداء الرسالة الخاتمة لرسالات الله إلى خلقه ، فأحاطه بعنايته منذ طفولته ، فنشأ مرعيا من الله ، كما تحدث القرآن .

ففى سورة الضحى : ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى ﴾[134] .

---

(١٣٤) الآيات من ٦ ـ ٨ .

وأعطاه ما يكسب به مودة الناس وتقديرهم وارتباطهم به .

ففى سورة آل عمران : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[١٣٥] . ثم تعهده الله بالرعاية والحماية بعد الرسالة . ففى سورة النساء : ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾[١٣٦] . وفى سورة الإسراء : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ﴾[١٣٧] .

ويسبغ الله على رسوله حمايته حين أمره بالبلاغ والإبلاغ للناس ، ذلك قول الله فى سورة المائدة : ﴿ ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾[١٣٨] .

نعم : قد عصم الله نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الناس . فكم حاول المشركون التعدى عليه والقضاء عليه ، يظهر ذلك جليا مما دار بين رسول الله وبين أعدائه من معارك ، حفظه الله ودافع عنه ومهد له سبيل النصر والفوز .

---

(١٣٥) من الآية ١٥٩ .

(١٣٦) الآية ١١٣ .

(١٣٧) الآية ٧٤ .

(١٣٨) من الآية ٦٧ .

أدب الدعوة كما علم الله رسوله فى القرآن

لنتلو قول الله فى سورة يونس : ﴿ قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾[١٣٩] .

هذه مهمته فى الرسالة والدعوة إلى دينه الذى كلفه الله بإبلاغه ، ثم رسم له طريق الدعوة فى قول الله فى سورة النحل : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾[١٤٠] . ويعرض لنا القرآن فى الكثير من الآيات لغة العرض والحوار بين الرسول وأولئك الذين تلقوا عنه الدين .

ففى سورة الزمر : ﴿ قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين . وأمرت لأن أكون أول المسلمين . قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم . قل الله أعبد مخلصا له دينى . فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾[١٤١] .

وفى سورة الشورى : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت

---

(١٣٩) الآية ١٠٨ .

(١٤٠) من الآية ١٢٥ .

(١٤١) الآيات من ١١ ـ ١٥ .

لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾[١٤٢] .

وفى سورة يونس : ﴿ وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون ﴾[١٤٣] .

وهكذا توالت آيات القرآن توجه النبى إلى حوار عف مستقيم ، قويم الحجة .

ففى سورة آل عمران : ﴿ فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾[١٤٤] .

هذه بصائر من القرآن للدعاة إلى الله فهم الأمناء على الدعوة إلى الإسلام عليهم أن يتبعوا توجيهات القرآن إلى رسول الله فى الحوار والمحاجة لتصل أقوالهم إلى قلوب الناس ، فينيبوا إلى ربهم خشعا سجدا صالحين معلمين . وبذلك تنجاب عنا ظلمات الحياة ، وينير الله بصائرنا بالهدى ودين الحق . ارتفعوا أيها الدعاة عن اللدد واللجاجة فيما لا نفع فيه للناس فى دينهم ودنياهم .

---

(١٤٢) الآية ١٥ .
(١٤٣) الآية ٤١ .
(١٤٤) الآية ٢٠ .

ذلك قول الله لرسوله فى سورة هود : ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ﴾ .(١٤٥) هذا القرآن قد تأدب به الرسول وعلمه الله به مالم يكن يعلم .

فقد وجه الرسول إلى الإقبال على من آمن به وصدق رسالته مهما كان وضعه فى المجتمع ..

ذلك قول الله فى سورة الأنعام : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾(١٤٦) .

وقول الله سبحانه فى سورة الكهف : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا.وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾(١٤٧) .

ونحن نتحدث بما تحدث به القرآن عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نضع أمام الذين يمارون فى سنة رسول الله - أو يقيسونها بعقولهم هذه الحقيقة التى قررها القرآن وهى : -

---

(١٤٥) الآية ١١٢ .

(١٤٦) الآية ٥٢ .

(١٤٧) من الآيتين ٢٨ ، ٢٩ .

إنه وإن كان هذا الرسول إنسانا ، لكنه نبى ورسول ، تلقى وحى ربه ، وأمر بإبلاغه إلى الناس كافة ، ليس هذا فحسب ، وإنما كلفه الله ببيان وشرح وحيه وآياته ...

ذلك قول الله فى سورة النحل : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾(١٤٨) .

وقوله فى سورة النحل أيضا : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾(١٤٩) . وكانت طاعة الرسول طاعة لله ، كما هو منطوق قول الله فى سورة النساء : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾(١٥٠) .

وآيات كثيرة تقرر ذلك وتؤكده وتجعل طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - طاعة لله . ومن البدهى أن يكون عصيانه والإعراض عن سنته قولا أو فعلا أو تقريرا عصيانا لمن أرسله الله وأوحى إليه ..

فهل مع هذه الأوامر القطعية يقوم من يناهض السنة وينحيها عن الأعمال ، ويقول على الله وعلى رسوله بغير علم .

على هؤلاء الذين يصطنعون الحجج أن يعلموا أن حجتهم داحضة عند ربهم وليسمعوا قول الله فى القرآن فى سورة

---

(١٤٨) من الآية ٤٤ .

(١٤٩) الآية ٦٤ .

(١٥٠) من الآية ٨٠ .

النساء : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾[١٥١] . وقول الله فى سورة الانفال : ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ﴾[١٥٢] .

وفى سورة المجادلة : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين ﴾[١٥٣] .

بل وفى سورة الأحزاب قول فصل ـ قول الله ـ ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾[١٥٤] .

هذه سنة رسول الله يأمر القرآن بالتزامها ، فإنها وحى من الله وبأمره ، ليس ذلك فحسب ، بل لنسمع تأديب الله للمؤمنين مع رسوله : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لِوَاذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾[١٥٥] .

---

(١٥١) الآية ١٤ .

(١٥٢) من الآية ١٣ .

(١٥٣) الآية ٢٠ .

(١٥٤) من الآية ٣٦ .

(١٥٥) الآية ٦٣ النور .

الأدب مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
كما يعلمنا القرآن

ويتصل بهذا قول الله فى سورة الحجرات : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم . ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون. إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾(١٥٦)

---

(١٥٦) الآيات ١ ـ ٣ .

الموضوع	الصفحة